لهجة مدينة ذمار بين الفصحى والعامية

د. أحمد عبدالله محمد النهمي *

هذا البحث يتناول لهجة مدينة ذمار بين الفصحى والعامية ، إذ يتناول دلالة بعض الألفاظ المستعملة في المدينة سواءً كانت هذه الألفاظ أسماء أو أفعالاً أو حروفاً ، وقد تناول الباحث استعمالها في المدينة موازناً على مدى حفاظها على دلالتها الأصلية في العربية الفصحى أو تطورها ، ومدى هذا التطور الذي صحب هذه الألفاظ ، وقد اعتمد الباحث على ثلاثة تجمعات في مدينة ذمار هي : (كلية الآداب – كلية التربية – سوق الربوع) لكون هذه التجمعات تمثل نماذج للتجمع البشري من ناحية ، وكونها تمثل المجتمع البشري المثقف والعامي من ناحية أخرى ....

ويرتكز البحث على مجموعة من الألفاظ المفردة التي تفصح عن وجهة نظر هذا الباحث ورؤيته الخاصة ، والألفاظ هي على الوجه الآتي :

الوَتَدُ : تطلق هذه اللفظة في مدينة ذمار على عود الخشب المثبت في الحائط وهي عربية فصيحة ، جاء في اللغة : (الوتد : مازُرَّ في الأرض أو الحائط من خشب ، وفي أمثالهم : أذل من وتد.) [1]

وبهذا فهي عربية فصيحة ، لأن الوتد الذي توضع عليه الملابس في الحائط كالوتد للخيمة على الأرض .

---

* رئيس قسم اللغة العربية – كلية التربية والعلوم رداع – جامعة ذمار .

القَبَاقِبُ : تستعمل هذه اللفظة في مدينة ذمار بمعنى الأحذية ، وهي عربية فصيحة ، جاء في اللغة: (القباقب : النعل تتخذ من الخشب ، وشراكها من جلد أو نحوه ، (ج) قباقيب) [2]

واعتقد أن سبب هذه التسمية هو ما تصدره هذه القباقب من أصوات أثناء المشي عليها كونها خشبية.

يتْخِيوَشْ : يستعمل هذا اللفظ في مدينة ذمار للإنسان الذي يدعي الجهل وهو يفهم ،بمعنى أنه يستهبل محدثه أي يتخيبل . جاء عند ابن فارس(ت395هـ) (الخاء والواو والشين أصل يدل على ضمر وشبهه ، فالمتخوش : الضامر ، ولذلك تسمى الخاصرتان بالخوشتين .) [3]

جاء في المعجم الوسيط : (خوش فلاناً حقه : نقصه)[4]

وهي بهذا عربية فصيحة لأن الذي يتْخِيوَشْ يستنقص محدّثه ، ويستنقص نفسه وهو استنقاص له نفسه .

الحُرّ : تستعمل هذه اللفظة في مدينة ذمار للإصطبل .

ومعناها في اللغة : (الحُرُّ : الفرس العتيق[5])، و (الحر : الخالص من الشوائب : يقال ذهب حر : لا يشوبه معدن آخر ، وفرس حُر : عتيق الأصل) [6]

وربما انتقلت صفة الفرس أو الخيل وهي الأصالة إلى المكان الذي يجلس فيه ذلك الأصيل ، وهو الإصطبل ، ومن هنا تطورت دلالتها فانتقلت الدلالة من صفة الفرس أو الخيل إلى المكان الذي يسكن فيه وهو الإصطبل .

السَّقِيفُ : تطلق هذه اللفظة في مدينة ذمار على البوابة السفلى ، بينما تستعمل هذه اللفظة في اللغة : (سَقَفَ البيت ونحوه – سقفاً : عمل له سقفاً ، وسقف – سقفاً : طال في انحناء . ... ، والسقف : غطاء المنزل ونحوه ، وهو أعلاه المقابل لأرضه . والسقف : السماء ، (ج) سقوف ، وأسقف ، وسُقُفٌ .

السَّقَافُ : من حرفته عمل السُّقُوف .

السقيف : السقف (ج) سُقُفُ .

السقيفة : العريش يستظل به ، وسقيفة بني ساعدة : ظلة كانت لهم بايع تحتها المسلمون أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - بالخلافة[7].

وهي بهذا عربية فصيحة لأن البوابة السفلى عادة ما تكون طويلة ومنحنية من أعلى على شكل نصف دائرة .

المحْوَشُ أو المحْوَاشُ : عود خشب يستعمل في تقليب الطعام في الإناء خلال الطهي . هكذا يستعمل في مدينة ذمار .

جاء في اللغة (حاش الصيد : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة ،[7]

(وأحاشه وأحوشه واحتوش القوم الصيد إذ أنفره بعضهم على بعض ،

واحتوش القوم على فلان جعلوه وسطهم ، وحاش الإبل : جمعها وساقها ، وانحاش عنه نفر)[8]

من هنا فالمحواش كلمة عربية فصيحة . لأنه يتم حوش الطعام به من أطراف الإناء إلى وسطه .

اهْذلْ : يستعمل هذا اللفظ في مدينة ذمار فعلاً بمعنى : أسرع ، وهذا الاستعمال عربي فصيح ، جاء في اللغة (الهذلول : الرجل الخفيف)[9] وعندما تأمره : أهذل أي خف بمعنى أسرع وهي متقاربة في المعنى مع الهذف والهذم انطلاقاً من القاعدة اللغوية[10] التي تنص على أنه : إذا تساوى في كلمتين أو أكثر حرفان وتقارب فيهما أو فيها مخرج الحرف الثالث تقارب المعنى .

فالهَذْفُ من (هَذَفَ – هُذُوفاً : أسرع ، فهو هاذف)[11] .

والهَذْمُ من : (هَذَمَ الشيء – هذماً : قطعه بسرعة ، و – الطعام : أكله بسرعة)[12] .

ومن هنا فاستعمال هذا الفعل ما زال عربياً فصيحاً

العزْبَةُ: هي المكان الذي يعيش فيه مجموعة من العزَّاب ، هكذا تسعمل في مدينة ذمار. وأصل العِزْبة في اللغة :

(مزرعة فيها قَصرُ الملك أو داره تحيط به بيوت الفلاحين) . (محدثة)[13] . فالعزبة كلمة تطور استعمالها بناء على دلالتها الاشتقاقية .

الطَّبُونُ : التنور أو المكان الذي يستوي فيه الطعام هكذا تستعمل في مدينة ذمار . جاء عند ابن فارس : ((طبن) الطاء والباء والنون أصل صحيح يدل على ثبات . ويقال : اطبأن ، إذا ثبت وسكن ، مثل اطمأن . ويقولون : طبنت النار : دفنتها لئلا تطفأ ،

وذلك الموضع الطابون .)[14] ، وجاء في المعجم الوسيط : (طبن النار طبناً : دفنها في الطابون لكي لا تطفأ)[15]. فهي عربية فصيحة .

الدَّيْمَة : معناها في اللغة : (المطر يطول زمانه في سكون (جـ) ديَم .)[16] هكذا جاء استعمالها في اللغة . لكن هذه الكلمة (الديمة) تستعمل في مدينة ذمار بمعنى المطبخ فلا أدري كيف أستعملت هذه اللفظة بهذا المعنى ؟! ربما لأن المطبخ يطهى فيه الطعام ثلاث مرات ؛ فيكون بذلك مشابهاً للديمة في نزول المطر من حيث استمرار نزوله ، أم أن الكلمة أخذت معنى آخر واكتسبت في ذمار دلالة جديدة !!!

الصَّوْمَعَة : في ذمار تستعمل هذه اللفظة بمعنى المئذنة . وهي في اللغة : (صومع الشيء : جمعه . وصومع البناء : علاه . وصومع الثريد : جعل له ذروة . الصومع : بيت العبادة عند النصارى . والصومع : متعبد الناسك) .[17]

وهي بهذا عربية فصيحة لها دلالة لغوية عقائدية ؛ فهي تجمع بين الجمع والعلو من ناحية ، كما أنها تحمل دلالة عقائدية تعبدية من ناحية أخرى.

يَا عُقِّي عُقَّاه : قول يستعمل في مدينة ذمار إذا نزلت مصيبة في شخص معين . جاء في اللغة : (عاقه عن الشيء عَوْقاً : منعه منه وشغله عنه . فهو عائق جمع عُوَّق ، للعاقل ولغيره : عوائق وهي عائقة . (جـ) عوائق . وعوائق الدهر : شواغله وأحداثه .)[18]

وبهذا فهي عربية فصيحة . لأنها تمثل استغاثة وطلب نجدة . كأنها مصيبة نزلت في عوق الشخص المستغيث .

عَكِّدْ : تستعمل هذه اللفظة في مدينة ذمار فعل أمر بمعنى (اجلس) بينما دلالتها في اللغة :

(عَكِدَ البعير والضبُ عكداً : سمن وصلب لحمه ، وعكد به : لزق به . فهو عَكِدٌ وهي عَكِدَةٌ .

وأعْكَدَ إليه لجأ . واعتكدهُ : لزمه . استعكد البعير والظبُ عكد واستعكد الطائر والضب توارى بشيء مخافة الطيور الجوارح . واستعكد الماء : اجتمع . ، ..... والمعكود : المقيم الملازم .)[19] ومن هنا فهي عربية فصيحة . لأن البعير إذا سمن عَكَّد أي : جلس ، والمعكود : المقيم . وهكذا كانت دلالتها عند ابن فارس[20]

يَشِّمْ : فعل أمر بمعنى اسكت . هكذا يستعمل في مدينة ذمار .

وفي اللغة : (اليشمُ) : مصطلح عام يشمل مجموعة من المعادن الصلدة التي تتدرج ألوانها من الأبيض تقريباً إلى الأخضر الأدكن ، وتتكون من سليكات الكالسيوم والمغنسويم غير المتبلورة . (مج)[21]

فلا أدري من أين جاءت هذه الدلالة هل اليشم من التصلب بمعنى السكوت والجمود ، أم أن لها دلالة أخرى ؟

إزبـع : تستعمل هذه الكلمة في مدينة ذمار فعل أمر بمعنى (أمْسَك) . بينما دلالتها في اللغة : (الزوبعة : الإعصار . (جـ) زوابع)[22]، ويقال : (أم زوبعة ، وهي ريح تثير الغبار فيرتفع إلى السماء كأنه عمود.)[23]

ومن هنا فدلالتها عربية فصيحة ،لأن الذي يقدم الشيء ليمسك به الآخر عادة ما يكون قابلاً لأن يمسك ، أي لملمها كما يلملم الإعصار الغبار ، وبهذا تكون اللفظة قد تطورت دلالتها .

القُفّـة : تستعمل هذه اللفظة في مدينة ذمار اسم بمعنى الإناء ، وفي اللغة : (القُفَّةُ : المقطف الكبير . والقفة : الزنبيل . وزورق مُقَيّر مستدير لا يزال مستعملاً في العراق . (مولد) [24]

ومن هنا فالقفة كلمة عربية فصيحة لأن هذا الإناء يأخذ شكل القفة . وفي المعجم الوسيط : (الزنبيل : القفة . (جـ) زنابيل)[25]

المَجمَرَة : المبخرة هكذا تستعمل في مدينة ذمار ،وهي عربية فصيحة، تقول :

(اجتمر بالمجمرة : تبخر بها). [26]

بَـزَق – المبـزاق : بَزَقَ : فعل ماض يقال في مدينة ذمار لمن يلقي لعابه في المبزاق ، والمبزاق : اسم مفعول .

جاء عند ابن فارس (ت395هـ):((بصق) الباء والصاد والقاف أصل واحد يشارك الباء والسين والقاف ، والأمر بينهما قريب . يقال : بصق بمعنى بزق وبسق . قال الخليل : وهو بالصاد أحسن والاسم البصاق.)[27]

وجاء في المعجم الوسيط : [28]بَزَقَ بَزْقاًو بُزاقاً : بَصَقَ ، والبزُاق: البصاق . وهي بهذا عربية فصيحة . إلا أن الصاد أحسن كما ذكر الخليل. وهذا ما تنطبق عليه القاعدة

اللغوية[29] التي تنص على أنه إذا تساوى في كلمتين حرفان وتقارب فيهما مخرج الحرف الثالث تقارب المعنى .

عـيس : جاء في المعجم الوسيط : (تَعَيَّسَتِ الإبل: صار لونها أبيض تخالطه شقرة والأعيس من الإبل : الذي يخالط بياضه شُقرة . والأعيس : الكريم منها . (جـ) عيسٌ) [30]

وتستعمل هذه اللفظة في ذمار للشيء الجيد ، وهي بهذا عربية فصيحة تطورت دلالتها . فأصبحت تطلق على الشيء الجيد في كل شيء .

شُوم : الشُّوْمُ : خشب صلد يستعمل في صنع مقابض أيدي العُدد والآلات . (مج) [31] بينما تستعمل هذه الكلمة في مدينة ذمار للشيء غير الجيد ، فربما جاء استعمال هذه اللفظة من الشؤم . كدلالة اشتقاقية .

ايـدش : تستعمل هذه اللفظة مفعولاً به لفعل محذوف تقديره : انتبهي أو هاتي أو اعطني - حسب ما يقصده المتكلم أو المتكلمة . وهذه هي ظاهرة الشنشنه في اللغة ، وهي (عبارة عن جعل الكاف شيناً مطلقاً ، فقد سمع بعض أهل اليمن في عرفه يقولون : (لبيش اللهم لبيش) ، أي لبيك ، والعامة في حضرموت تقول : عليش بدلاً من عليك) [32]

وهنالك كلمات تستعمل في ذمار بالمعنى نفسه مع تغير خفيف يكون بإبدال حرف مكان حرف آخر نتيجة لتقارب مخارج الحرفين المبدلين ، فمثلاً : يستعمل أبناء مدينة ذمار (باردي) على الإناء المسمى (بالدي) ، إذ يتم استبدال حرف اللام بحرف الراء نتيجة لتقارب المخرجين ، فالراء واللام كلاهما جانبيان.[33]

كما أن بعض الكلمات في ذمار تستعمل بإضافة بعض الحروف ، ومن ذلك كلمة سفرطاس التي تعني (طاس) بإضافة ثلاثة أحرف زائدة .

كما أن بعض الكلمات قد يبدل فيها حرف مكان حروف أخرى ، فمثلاً تسعمل في ذمار : (شابصر) مكان سوف أبصر . لمن طرح عليه موضوع معين فيستعمل حرف الشين مكان سوف التي تدل على المستقبل.

كما أنه يحدث في مدينة ذمار ما نستطيع أن نسميه بالقلب والإبدال . إذ نجد ذلك في كلمة (صدق) إذ يتم فيها القلب والإبدال ، فيقولون : صقط . وقد عده الدكتور/

أحمد مختار عمر [34] من الأسباب الداخلية – أي داخل اللغة – إذ يكون بتغير النطق أو تغير في المعنى ، إذ يؤدي إلى تغير النطق شيئان : القلب المكاني ، والإبدال ؛ وهذا ما حدث هنا تماماً . كما أنهم يبدلون حرفاً مكان آخر فيقولون في : (قد أذن) (قد وذن) فيقلبون الهمزة واواً . وقد يحذفون حرفاً من الكلمة فيقولون في جملة : هذا ولد فلان : هذا ود فلان ، وذلك بحذف اللام من كلمة (ولد) .

كما أنهم يحذفون حرفاً من فعل الأمر ويعوضون عن ذلك الحرف بالتضعيف فيقولون في فعل الأمر : (أُوْبِهْ) (أُبِّهْ) بمعنى احترز أو انتبه .

كما أنهم يستعملون لفظة (المدل) بدلاً من (المدر) للكوز أو الدوح أو الجرة التى تستعمل للماء . فيسمى (المدل) عندهم ، وهو (المدر) إذ يسمى بالمادة التي صنع منها . والسبب في ذلك تقارب مخرجي حرفي الراء واللام ، فكلاهما من الأصوات اللثوية [35] إلا أن اللام جانبي والراء تكراري . كما أنهم قد يضيفون كلمات لا داعي لها مثل قولهم : (أنا ما بين أسيرش) بمعنى (أنا لا أذهب) .

وبعد هذه الرحلة العلمية مع مجموعة من ألفاظ اللغة حاول الباحث أن يضع يده على دلالة تلك الألفاظ موضحاً مدى حفاظ بعض هذه الألفاظ على دلالتها ، ومدى تطور بعضها الآخر ، ومدى هذا التطور ، وهي محاولة متواضعة لدراسة هذه اللهجة . وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :-

1 - احتفاظ عدد كبير من ألفاظ اللهجة الذمارية بدلالتها العربية الفصحى .

2 - احتفاظ لهجة مدينة ذمار –بظاهرة الشنشنة كما هو موضح إذ يجعلون الكاف شيناً مطلقاً .

3 - ظهر للباحث أن ظاهرة الإبدال في اللغة موجودة في لهجة مدينة ذمار خصوصاً بين الحروف المتقاربة في المخرج .

الهوامش :-

1) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – الطبعة الثالثة – القاهرة 1985م – ج 2 /1051 .
2) المعجم الوسيط – ج 2 / 739 .
3) معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد ابن فارس (ت395) – دار الكتب العلمية –اسماعليان – ايران–(1389هـ) – ج 2 / 228 .
4) المعجم الوسيط – ج 1 / 270 .
5) القامـوس المحـيط – مجـد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي– دار الفكر – بيروت – 1983م – ج 2 / 7 .
6) المعجم الوسيط – ج 1 / 172 .
7) المعجم الوسيط – ج 1 / 453 .
8) مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي – مكتبة لبنان – بيروت 1987م ، ص 68 .
9) المعجم الوسيط – ج 2 / 1019 .
10) ينظـر علـم الدلالة والمعجم العربي– د/عبد القادر أبو شريفة ، د/ حسين لا شين ، د/ داود غطاشة – دار الفكر للنشر والتوزيع – بيروت – 198 م – ص 25 .
11) المعجم الوسيط – ج 2 / 1019 .
12) المعجم الوسيط – ج 2 / 1019 .
13) المعجم الوسيط – ج 2 / 620 .
14) معجم مقاييس اللغة – ج 3 /441 .
15) المعجم الوسيط – ج 2 / 571 .
16) المعجم الوسيط – ج 1 / 316 .
17) المعجم الوسيط – ج 1 / 543 .
18) المعجم الوسيط – ج 2 / 660 .
19) المعجم الوسيط ج 2 / 641 .
20) ينظر مقاييس اللغة – ج 105/4 .
21) المعجم الوسيط – ج 2 / 1108 .
22) المعجم الوسيط – ج 1 / 402 .
23) مختار الصحاح – 113 .
24) المعجم الوسيط – ج 2 / 781 .

25) المعجم الوسيط – ج 1 / 402 .

26) المعجم الوسيط – ج 1 / 139 .

27) معجم مقاييس اللغة – ج 253/1 .

28) ينظر المعجم الوسيط – ج 1 / 56 .

29) ينظر علم الدلالة والمعجم العربي :25 .

30) المعجم الوسيط – ج 2 / 663 .

31) المعجم الوسيط – ج 1 / 521 .

32) فقة اللغه – د/ حاتم صالح الضامن – جامعة بغداد – مطبوعات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – ص 49 .

33) ينظـــر علـــم اللغة الدكتور محمود السعران – دار الفكر العربي الطبعة الثانية – 1992م – ص170–171 .

34) ينظـــر علـــم الدلالـــة – د/ أحمد مختار عمر– مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى–– 1982م – ص159– 160 .

35) ينظـــر المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – الدكتور / رمضان عبدالتواب – مكتبة الخانجي – القاهرة –الطبعة الثانية –1985م – ص 47–49 .